ديفيد جروسمان:

قلوب مصفحة وعقول معاقة..!

ساجله : حسن خضر

كان آخر أسئلتي لدافيد غروسمان بعد ثلاث ساعات من سجال تدخلت فيه مشاعر متضاربة: هل يتوقع مني كتابة كل ما دار بيننا بطريقة منصفة؟. ويبدو أن السؤال أثار حيرته، فقد احتاج إلى برهة من الوقت قبل القول بأن الكاتب عندما يكتب عن شئ ما يضيف إليه الكثير من انطباعاته الخاصة.

وقد راودتني الفكرة الأخيرة لفترة طويلة من الوقت. فعندما طرحت عليه قبل سنتين فكرة اللقاء لهذا الغرض تذرّع بمشاغل كتابية، أقنعني تكرارها على مدار أسابيع لاحقة بأن المشاغل نفسها لا تبرر العزوف.

ربما ثمة جانب آخر يتصل بما في فكرة تحوّل الإسرائيلي إلى موضوع للفلسطيني من دلالة مقلقة. فعندما يلتقي إسرائيلي من اليسار ـ في أغلب الأحيان ـ بفلسطينيين للكتابة عنهم تكون له اليد الطولى لأن الصيغة النهائية للكتابة من صنعه، ولأن اتفاقه مع الفلسطيني أو تفهمه لمشاكله يعزز من صورته الذاتية أمام نفسه كمدافع عن قيم معينة، في المقام الأول، إلى جانب موضوع الكتابة نفسها بطبيعة الحال.

وإذا كان غياب مفارقة كهذه عن أذهان أشخاص عاديين مسألة محتملة، فإنه يصعب تصوّر غيابها عن مخيّلة ممارس لحرفة الكتابة. ففي الحرفة ما يقود إلى قناعة بأن مجرد تحويل الآخر إلى صيغة لغوية وتخييلية لا يعني تمكينه من الكلام وحسب، بل والقبض عليه أيضا.

وقد مارس دافيد غروسمان (مواليد ١٩٥٤) هذا الأمر في كتابين هما «الزمن الأصفر » و «النائمون على السلك ».

ففي العمل الأول حاول استبطان ما يعتمل في قلوب وأذهان الفلسطينيين في المناطق المحتلة. وحاول في الثاني رصد التحولات الثقافية والسياسية، إلى جانب الظروف الإجتماعية، للفلسطينيين في الجليل.

وقد أظهر في العملين قدرا واضحا من رهافة الحس، إلى جانب فهم للفلسطينيين ينطوي على نقد للسياسة الإحتلالية من ناحية، وقدر من التعاطف مع مأزقهم الوجودي من ناحية أخرى.

ولاشك بأن الفلسطينيين يحتلون مساحة واسعة من اهتمامه. فقد كرّس روايته الأولى «ابتسامة الجدي» ـ صدرت عام ١٩٨٢ ـ لمعالجة قضية الإحتلال، لتكون الرواية الإسرائيلية الأولى التي تتمحور حول الإحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧، والأولى التي يحتل الفلسطيني فيها دور شخصية مركزية، بعد حضوره الفلكلوري في عدد لا يحصى من الروايات.

لم يكتب غروسمان بعدها روايات عن الفلسطينيين أو الاحتلال، بل كرّس روايته الثانية «أنظر عمق الحب» لموضوع الهولوكوست. وهي الرواية التي وضعته في الصفوف الأولى للروائيين في إسرائيل. وقد حافظ على هذه المكانة في روايات لاحقة تتسم بالتجريب مثل «كتاب القواعد الحميمة» و «ولد الخطوط المتعرجة». ورغم ذلك، واظب على كتابة مقالات سياسية تدعو إلى إنهاء الاحتلال، والى منح الفلسطينيين حق تقرير المصير.

وإذا كانت تلك الكتابات قد أثارت حنق اليمين الإسرائيلي عليه بكل ما ينطوي عليه الأمر من إزعاجات محتملة، إلا أنها مكنته من احتلال مكانة معترف بها في أوساط الليبراليين واليساريين بشكل عام.

بدأت معرفتي الشخصية به عندما سمعت شخصا على الطرف الآخر للهاتف، في عام ١٩٩٣، وكنت أعيش في تونس وقتها، يقول بأنه دافيد غروسمان، ويسأل ما إذا كنت أريد الحديث معه. فقد سمع بأنني ترجمت «ابتسامة الجدي» إلى العربية، وأبدى استعداده لمساعدتي في حل بعض إشكاليات الترجمة، إلى جانب التعبير عن تقديره لهذه البادرة. وقد التقينا بعد عودتي إلى فلسطين في فترات متباعدة، وكان الكلام في السياسة زاد تلك اللقاءات. لذلك، لم يختلف الأمر عندما التقينا في القدس في أواخر مارس (آذار) الماضي.

قال غروسمان بأنه غاضب من الطريقة التي يدير بها رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك مفاوضاته مع الفلسطينيين. وقلت له بأنني أشعر باليأس من «عملية السلام» كلها. وهذا بدوره قاده إلى الإسترسال في الحديث عن الخصوصية العاطفية للإسرائيليين ومدى حاجتهم للتفهم والحب. استفزتني الحاجة إلى الحب بشكل خاص، فكانت مدخل هذا الحديث:

‹ ربما من المناسب أن نبدأ الحديث بالحاجة إلى الحب!

‹‹ نقطة البداية حاجة كل الناس إلى الحب، خاصة الذين حُرموا منه، ومن الإحساس بأنهم غير مفهومين، بأنهم مكروهون، وربما وُصفوا بالشياطين من جانب آخرين. لذلك، حاجتهم إلى الحب أكبر من غيرهم، وكذلك حاجتهم ليكونوا جزءاً من شئ ما، من الشرق الأوسط، مثلاً.

من ناحية أخرى، ثمة نزعة مغايرة، وهي يهودية تماماً. السعي إلى عدم الحب، إلى الإنفصال، والقدرة على انتزاع النفس من مكان والإنتقال إلى مكان آخر. هذا الجانب قوي في تاريخنا. وتلك صورتنا الذاتية عن أنفسنا. لماذا لا نشعر بأننا جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط؟ ولماذا يشعر كثير من الإسرائيليين بأنهم، هنا، نتيجة خطأ جغرافي ما. علاوة على ذلك، لا تستطيع الإحساس بالإنتماء إلى منطقة لا تريدك. الشرق الأوسط لم يذوّت إسرائيل. والعرب لم يذوتوا إسرائيل. يقبل بعضهم بحقيقة وجودها ولا يقبل بحقها في الوجود، ويراها البعض الآخر جزءاً من الولايات المتحدة

أو أوروبا.

يحتاج الإنسان للحصول على اعتراف من عدوه بخطأ كل تلك التعميمات والصفات الشيطانية. شعرت بذلك عند زيارة السادات إلى القدس، بتلك الحاجة الطفولية لأن يعترف بك عدوك كما أنت وبما أنت عليه. فعندما ننظر إلى أنفسنا كأعداء لا نرى سوى القسوة والقبح.

‹ *وماذا يحدث إذا استخدمنا ذريعة مضادة. فلنقل: ماذا فعل الإسرائيليون ليستحقوا ذلك الحب ؟*

‹‹ ما وصفته للتو ليس الشيء الصحيح تماما. فالحاجة إلى الحب ليست حجر الزاوية في السياسة. حاولت، فقط، تصوير نزعة عاطفية قوية في النفسية الإسرائيلية. ولا أعتقد باختلاف الأمر لدى الفلسطينيين. فعندما كتبت «الزمن الأصفر » أدهشني مدى حاجة الفلسطينيين لوجود إسرائيلي يفهم ما يقولونه. نحن نتكلم عن الأشياء العاطفية، الأشياء الصغيرة، فهي أشياء صودرت بفعل الوضع القائم، ولا أتكلم عن الأشياء الثقيلة.

‹ *والآن ماذا يتوجب على الإسرائيليين فعله ليكونوا جديرين بالحب ؟*

‹‹ أقول : لا أريد أن تحبني، أريد أن تحترمني. وللوصول إلى هذا الحد فعليّ احترامك أيضاً. فأنت شريكي سواء أحببت ذلك أم كرهت. وبالمناسبة أعتقد أن الفلسطينيين شركاء جيِّدون. ثمة أسباب مختلفة، للتشابه في طبيعتنا. لكن هذا غير مهم. لا أحتاج للإعجاب بك، بل لاحترامك لأنك إنسان، أحترمك كما ينبغي لي احترام كل الناس، وإذا لم أفعل ذلك، لا أحترم نفسي. وإذا حرمتك من بعض المزايا فقد حرمت نفسي منها.

أعتقد أن ديمومة الإحتلال تعتمد على تجريد المحتل لنفسه من صفات معينة. وللإستمرار في هذا الوضع، على مدار كل تلك السنوات، كان علينا تجاهل الكثير من المظالم والقسوة، وخداع أنفسنا. وهذا في نهاية المطاف يشبه الإنتحار الذاتي الجزئي. لذلك، تحقيق السلام مع الفلسطينيين محاولة لإحياء أنفسنا، لنتمكن من عيش الحياة بكامل أبعادها، فنحن نعيش الآن نصف حياة فقط. نحن وأنتم. الأمر أكثر صعوبة لديكم بالتأكيد بسبب الإحتلال والمهانة اليومية. أينما نظرت تجد مستوطنة في أعلى التل، ثمة إغلاق، اقتصاد مدمر. ونحن نتصف برفاهية عدم ملاحظة هذا الوضع. وفي استمرار وضع كهذا ما يقتل أشياء في أنفسنا أيضاً.

‹ *لم يُظهر متخذو القرارات لديكم أدنى إشارة تدل على الحاجة إلى الحب. العكس صحيح، فهم يريدون إرغام العرب على احترامهم، ويستخدمون قدرا هائلا من العنف. يقبل معظم العرب بوجود إسرائيل. لديكم معاهدة سلام مع مصر والأردن، ومفاوضات مع الفلسطينيين. هناك قبول بنسبة كبيرة في العالم العربي، ولم يكن الأمر كذلك قبل سنوات.*

‹‹ يجب ألا نكون ساذجين. جزء من العرب قبل رسميا بوجود إسرائيل لأنها قوية، ولو كانت ضعيفة لما تمكنت من البقاء أكثر من عقد من الزمن.

‹ *هذا جزء من الرواية الإسرائيلية الكبرى. تقول الرواية عندما جئنا واستوطنا جوبهنا بعداء العرب، حاولنا صنع السلام لكن العرب في فلسطين رفضوا. وحاولنا بعد إنشاء الدولة صنع السلام مع العرب ورفضوا. مشكلة هذه الرواية في الوقت الحاضر أن تفكيكها يجري على أيدي إسرائيليين.*

على أيدي مؤرخين وعلماء اجتماع جدد. بيني موريس يقول بأن جزءاً من الفلسطينيين أرغم على الخروج عام ١٩٤٨، ويقول بأن الغارات الإسرائيلية ضد مصر والأردن في الخمسينات استهدفت توتير الوضع للحيلولة دون مبادرات للسلام في الخمسينات. وآفي شلايم يتكلم عن الستار الحديدي الذي أقاموه في وجه العرب.

ما تقوله جزء من رواية كبرى، وهي غير مقنعة في نظري. وعندما تقول بأن العرب أرغموا على قبولها لأنها قوية فلن تعثر سوى على اثنين من المؤيدين: قومي عربي يشعر بمرارة الهزيمة، وصهيوني نموذجي يكره العرب. قال جابوتنسكي في الثلاثينات: يعرف الفلسطينيون بأن هذه أرضهم، ولن يقبلوا بنا، ومن الوهم التفكير بإمكانية صنع سلام معهم، الوسيلة الوحيدة هي قتالهم كأعداء، وبناء جدار حديدي حول أنفسنا.

‹‹ هذا أمر مدهش. بدأنا بعد دقيقتين من الكلام نحفر عميقا في التاريخ. هذا الوضع شديد الصعوبة. ربما لا يحتاج إلى مؤرخ بل إلى روائي أو عالم نفس لتحليل كيف نشأ. من جانبي أعتقد بأنه بدأ بشعبين صغيرين غير ناضجين، كانا في حالة ضياع وشك في بعضهما البعض. وفي وضع كهذا فإن الشرارة الصغيرة قد تتسبب في حريق كبير.

وأنا لا أنتمي إلى هذه الرواية الكبرى القائلة بأن إسرائيل كانت عرضة للتهديد على مدار تلك السنوات كلها، ولا أعتقد بأنها سعت وراء السلام بشغف في الخمسينات، كما يقول الإسرائيليون. ومع ذلك، أذكر «صوت العرب» من القاهرة بوضوح في طفولتي، كان لديهم برنامج موجه للأطفال، وكانوا يقولون بأنهم سيرموننا في البحر. ربما تقول كانت مجرد دعاية. ولكن كيف تستطيع المجيء إلى الإسرائيليين في الخمسينات والستينات لتقول لهم بأنها مجرد دعاية. كانوا مذعورين.

‹ *كانت دعاية. فقد نشر رئيس هيئة أركان الجيش المصري في عام ١٩٦٧ مذكراته في وقت لاحق، وذكر فيها عدم وجود خطة لدى الجيش المصري في عام ١٩٦٧ للتقدم داخل إسرائيل.*

‹‹ ربما كان ما تقوله صحيحا، لكنك لا تستطيع تجاهل الوضع. أعرف بأن الفلسطينيين لا يحبون الإستماع إلى مخاوف الإسرائيليين. من الشائع في علم النفس اليوم الحديث عن صدمة ما بعد الولادة، تلك اللحظة المؤثرة في حياة جميع الأطفال. وتلك كانت تجربة إسرائيل بعد الهولوكوست، أتكلم عن جيل أبي وأمي، عن انعدام الثقة بوجود مستقبل ما، والعيش من يوم إلى آخر، دون الإحساس بأننا سنتمكن من البقاء هنا لفترة طويلة من الوقت، وبأن هذه الدولة التي حصلنا عليها بعد ألفي عام تقريبا هي معجزة. معجزة حتى بالتعبيرات التوراتية. وحتى بالنسبة لي فهي معجزة، بعد كل هذا الإقتلاع، بعد ١٨٠٠ سنة أقمنا هذه الدولة، وهذه الثقافة، وخلقنا هذا الجيش، صحيح أنه يتصرف بعدوانية أحيانا، ولكن بفضله تمكنا من العيش، ومكننا هذا الدرع من بلورة أشياء جيدة.

ولا أعتقد بضرورة الإستسلام لتلك المخاوف بعد الآن. كانت مخاوف شرعية في الخمسينات، وربما في الستينات أيضاً. ونحن الآن على قدر من القوة يمكننا من التوصل إلى حل سياسي شجاع وكريم. أكثر شجاعة من الحل المطروح الآن على الفلسطينيين. وما فائدة الحفاظ على قوة عسكرية ضخمة

كهذه إن لم تكن لتحسين ظروف حياتك وحياة شركائك. وما فائدة امتلاك قوة نووية ـ يقال لدينا المئات منها ـ إذا كنا نعيش بهذا القدر من انعدام الثقة، وهذا القدر من الطريقة غير الطبيعية في استخدام القوة. نحن على قدر كبير من العدوانية، لم ننتقم بطريقة معقولة أبدا، بل بطريقة تتسم بالمبالغة دائما. ربما نحتاج للإيحاء بالقوة أكثر من استخدامها. إذا كانت لدى شخص ما ثقة كافية بقوته فليس بحاجة لاستخدامها طيلة الوقت.

‹ *هل تكتب لي قائمة بالمخاوف، سأوّقع عليها، وعلى الضمانات التي تجعلكم آمنين. إذا فعلنا ذلك، هل تعتقد بأن الساسة الإسرائيليين سيقررون الإنسحاب غداً من الضفة الغربية، وإخلاء المستوطنات ؟*

‹‹ لا. أحد نتائج تلك المخاوف عدم ترك مفتاح أمننا في يد طرف آخر، خاصة إذا كان الطرف عدوا بالأمس.

‹ *إذاً، هذه المخاوف لن تنتهي إلى الأبد ؟*

‹‹ أوافــق.

‹ *سأحاول التفكير في هذا الموضوع بطريقة وجودية. يتساوى الناس في المعاناة والمخاوف والسعادة والكوابيس أو الطموح. وإذا كان من حقكم وجود مخاوف لديكم، فمن حقنا أن يكون لنا مخاوف. قلت في «الزمن الأصفر» أو ربما في مكان آخر: كنّا مثل شخص يقفز من بناية تشتعل فيها النيران فيقع على ظهر أحد المارة.*

‹‹ لم أقل ذلك. هذا ليس مجازي الشخصي.

‹ *ولكن هذا ما أصاب الفلسطينيين. لا يعنيني كيف ظهرت الحياة على الأرض، وكيف تعرّض الهيكل للدمار. فقد وُلدت في سياق مختلف.*

‹‹ أستطيع القول، أيضا، بأنني ولدت بعد حرب ١٩٤٨ ولست طرفا في رواية النكبة.

‹ *سأعالج هذا لاحقاً. من حق الفلسطينيين بسبب التجربة الرّضية التي عاشوها، وبسبب ظروف الإقتلاع، أن تكون لديهم شكوكهم ومخاوفهم الخاصة، كلما تعلّق الأمر بالتعامل مع إسرائيل. ورغم ذلك، قرر الفلسطينيون التوصل إلى حل. والآن، بعد سبع سنوات على تلك المبادرة، لم تحدث محاولة إسرائيلية لفهم مخاوف الفلسطينيين وعذاباتهم وكرامتهم، أو قبول حقوقهم. لماذا تحوّلون احتكار الحقوق إلى حق لكم ؟*

‹‹ أنت تتكلم مع شخص يعترف بضرورة احترام مخاوف الفلسطينيين، وضرورة خروجهم من المفاوضات بأكثر مما تعرضه إسرائيل عليهم في الوقت الحالي. ونصف الناس في إسرائيل، على الأقل، يوافقون على هذا الأمر. هذا تقدم. وإذا أردنا التعامل بجدية مع الموضوع فإن كثيراً من الإسرائيليين قد تغلبوا على مخاوفهم. وأنت مصيب في شئ: لا يوجد ما يكفي لتهدئة مخاوف الإسرائيليين بشأن أمنهم.

‹ *كيف نفعل ذلك، هل ثمة صيغة معيّنة ؟*

‹‹ لن تكون في حياتنا.

› *وماذا يجب أن يحدث ؟*

‹‹ إذا قام لدينا سلام حقيقي مع الفلسطينيين. ولم يهاجمنا العرب، ولم نتعرض للتهديد لعدة سنوات، سينشأ وضع لا يدفعنا للإنتقام السريع، كما اعتدنا العمل. فلنفكر في رسم يوتوبيا معينة: ربما يفكر الفلسطينيون والإسرائيليون بعد عشرين عاماً في ممارسة نوع من حب الإستطلاع للتعرف على ثقافات بعضهم، وليس التبادل التجاري وحسب، ولكن على صعيد العلاقات الإنسانية أيضا. فلنفكر في وضع مثل الوضع القائم بين بريطانيا وفرنسا، أو بين ألمانيا وفرنسا. ولنفترض بأن العراق لن يقصف إسرائيل مرة أخرى، وأن إيران لن تنفذ تهديداتها بمحاولة احتلال القدس. فنحن لا نعيش في فراغ، ولدى مخاوفنا ما يدعمها في الواقع.

› *ذلك لن ينتهي إلى الأبد، إذاً. لماذا أدفع الثمن لأن إيران لا تريد إقامة سلام مع إسرائيل ؟*

‹‹ لا أعتقد بأنك يجب أن تدفع الثمن، ولكن نحن نتكلم عن الإحساس بعدم الأمن، ولا نتكلم عن المفاوضات الرسمية. سأعبر لك عما أشعر به. سألت عن ضمانات لأمن إسرائيل. ربما هذا لب المشكلة، وأريد أن أسمع منك عن مخاوف الفلسطينيين، لأنني سأتكلم بصراحة تامة وبطريقة نقدية.

نحن شعب من الناجين. في تاريخنا كوارث مختلفة، كان الهولوكوست ذروتها. ونحن نعيش تناقضات هذا التاريخ. هذه لعنتنا، بكل ما تحمله من أبعاد واحتمالات. الناجي محارب يستثمر طاقة الدرع الذي يحميه. أفكر دائما في تلك الأزياء الحديدية للمحاربين القدماء، بلا وجود لأشخاص في داخلها. ربما ذلك ما سيحدث لنا.

شرع رابين وبيرس في التغيير مع أوسلو. كانت نقطة بداية لكنها ليست كافية. وإذا شعرنا بثقة هنا، تتغير الأوضاع.

عندما أُرسل في الصباح ولديّ الكبيرين إلى المدرسة أحرص على عدم ركوبهما في باص واحد، أخشى من إصابتهما بمكروه. وفي ظل وضع كهذا لا ثقة لديّ ولا طمأنينة. ورغم ذلك، أقاوم في الوقت نفسه، بكل ما تبقى لديّ من طاقة هذه المخاوف. أقول، ربما إذا تغلبت على المخاوف قد أتمكن من تغيير الواقع، وبالتالي تهدأ مخاوفي. وعندما أعرض عليك تحليلاً لمخاوف الإسرائيلي، أريد سماع تحليلك لمخاوف الفلسطيني.

› *سأتكلم عن هذا الموضوع. ولكنني أريد التعرّض لجانب آخر، فما تصفه بالمخاوف الإسرائيلية يثير اهتمامي، وكذلك مسألة البقاء على قيد الحياة. وأعرف الكثير مما يقال عن هذه الأشياء. لكن الكثير مما يقال بعضه واقع، وبعضه الآخر أسطورة. تستطيع القول بأن تاريخ اليهود ملئ بالاضطهاد. صحيح. ولكن لا يجب استغلال حقيقة كهذه لأسباب سياسية، فتاريخ جميع الأقليات في فترة ما قبل الدولة القومية العلمانية الحديثة كان شبيها بذلك. ولا حق لليهود في احتكار الاضطهاد.*

‹‹ لا تستطيع تجاهل الوضع الخاص لليهود في المسيحية والإسلام.

› *صحيح. ولكن خلال عهود إسلامية مختلفة قبل قدوم الدولة العلمانية، ثمة ما يكفي للقول بأن اليهود عوملوا بطريقة أفضل من أقليات أخرى، وعوملوا أفضل من المسيحيين في مصر وأسبانيا في فترات مختلفة من الزمن.*

النقطة الثانية، عاش اليهود فترات طويلة تخلو من الإضطهاد في مناطق مختلفة من العالم، ربما ثمة تحفظات بشأنها ورغم ذلك تمتعوا بامتيازات لم تتمتع بها أقليات أخرى.

النقطة الثالثة، عندما أفكر بالدولة الإسرائيلية، أنظر إليها بتعبيرات الدولة القومية العلمانية الحديثة. وهي مصاغة حسب النموذج الأوروبي في القرن التاسع عشر. المشكلة هي محاولة ربط تاريخ إسرائيل - ربما هذه عقبة أمام السلام - مع تاريخ اليهود، والتفكير بأنكم ورثتم ألفي عام من المعاناة. تخيّل مسلما في إيران أو فلسطين يعلن دولة إسلامية، ويعلن بأنه وريث لكل العهود الإسلامية السابقة. سنقول إنّ هذا غير ممكن وغير مقبول. هذه دولة حديثة وليست وصول التاريخ اليهودي إلى نهايته. إذا أراد بعض اليهود رؤيتها كذلك فتلك مشكلتهم. إذا فكّرنا بعقلانية فلن يكون الأمر على هذا النحو أبداً.

‹‹ تقول بأنك تريد الكلام بعقلانية عن الموضوع. سيكولوجيا الإنسان أو الشعب ليست بالمسألة العقلانية. ثمة ما يتصل بالأساطير والصور الذاتية، والمخاوف. ويمكنني ذكر أساطير ما زالت شائعة في المجتمعات العربية.

› *أنا لا أمثل استمرارية لأية إمبراطورية عربية أو لدولة كنعانية أو إسلامية.*

‹‹ هذا شئ غريب.

› *دور المثقفين في التعبير عن أشياء تدور في أذهان الناس ولا يستطيعون التعبير عنها. ولا نستطيع النظر إلى فلسطين بطريقة حصرية سواء كانت الطريقة مسيحية أو يهودية أو إسلامية. فلسطين تعددية. ربما لا يقنع ذلك الأصوليين المسلمين واليهود.*

‹‹ هذا رأي واضح، لكنه يمثل أقلية، ولا أعرف كم من الناس يفكر بهذه الطريقة. أنا أرى إسرائيل كاستمرارية للتاريخ اليهودي. أرى الدولة كجزء من التاريخ اليهودي والثقافة اليهودية. وأكرر: هناك أشياء كثيرة أتمنى التخلص منها، أرغب في تقليص تدخل الديانة في السياسة إلى أقصى حد ممكن. أريد دولة علمانية حديثة، تعددية. وجزء من هذه التعددية منح حقوق متساوية لغير اليهود في إسرائيل، للمسلمين والمسيحيين، هذا جزء من التحدي لتقاليدي كيهودي.

› *كعلماني ؟*

‹‹ نعم، يصعب التفكير في أمور كثيرة. أرغب، مثلا، في رؤية العالم بلا دول، ورؤية الدول بلا جيوش. أستطيع مشاركة الآخرين في هذه الرؤى. ولكن ما يحدث في الواقع أنني أريد إرسال أولادي إلى المدرسة. فالتفكير في المسائل الأخرى غير مثمر. عندما تكون المشاكل صعبة جداً، وعندما يكون الواقع مليئا بالدم والمخاوف، عليّ تغيير شئ ما في حياتنا.

› *دعنا نفكر بطريقة مختلفة. أفهم ما تقوله عن أولادك. ولكن: أولاً، عدد قتلى العمليات في إسرائيل أقل من عدد قتلى حوادث الطرق. وثانياً، الظاهرة التي تتكلم عنها موجودة بصورة نسبية في أيرلندا، في إقليم الباسك، في الهند، وفي أجزاء أخرى من العالم. فهي جزء من حياة العالم، ولا يجب النظر إليها كظاهرة يهودية أو فلسطينية أو حتى شرق أوسطية.*

ألا تعتقد بأن رؤية الأمور بهذه الطريقة ستؤدي إلى نتائج أكثر إيجابية ؟

‹‹ أتفق تماماً. ولكن كيف تأتي لشعب انخرط في سبع حروب، ولا يوجد يوم في روزنامته بلا مناسبة للذكرى الفردية أو الجماعية. عندما امشي في تل أبيب قرب المناطق التي وقعت فيها عمليات أتشوّش. يشوشني ما تقوله من ناحية، ومن ناحية أخرى قلت بأنني لا أريد الإستسلام لهذه المخاوف.

‹ *الفكرة التي أريد طرحها تتمثل في ضرورة تمكين الإسرائيلي من رؤية مخاوفه بمنظار مختلف. في حرب ١٩٤٨ ، لم تكن تلك حرب ديفيد الصغير ضد غوليات. كان لدى اليهود جنود أكثر، بعد أشهر قليلة من بدء الحرب، وكان لديهم سلاح أكثر. في عام ١٩٥٦ كانت لهم اليد الطولى، وفي عام ١٩٦٧ هم الذين افتتحوا الحرب. تعرّضوا ، فعلا ، إلى خطر في عام ١٩٧٣ فقط. آنذاك، وقع دايان مغشيا عليه، وقالت غولدا مائير بأنها لن تعيش ككائن طبيعي بعد اليوم.*

لذلك، عند الكلام عن الحرب ينبغي النظر إليها بصورة موضوعية. فلم تكن حرب ديفيد الصغير ضد غوليات طوال الوقت.

‹‹ هذا ما قلته لك. وما عنيته عندما قلت ما جدوى امتلاك كل هذا السلاح. كانت هناك مفاصل حرجة. وأعتقد بأننا كنا نستطيع تجنب حرب ١٩٦٧. مرّة أخرى، عندما نتكلم عن التاريخ أذكر مخاوفي، وقد شعر قادتي بالخوف أيضاً.

‹ *هذا احتكار للخوف. كيف تشعرون بالخوف مع وجود مائتي قنبلة نووية في القبو لديكم. ولماذا تشعرون بالخوف عندما تقولون نريد الخروج من الضفة الغربية. إذا أراد بعض المستوطنين البقاء يمكنهم ذلك تحت السيادة الفلسطينية، ستكون هناك ترتيبات خاصة بالنسبة للقدس. ولن تكون الدولة مسلحة، إلى جانب كل الضمانات الدولية. فما المخيف ؟*

‹‹ بالتأكيد، هذا ما ينبغي عمله.

‹ *ولماذا لا تعملونه ؟*

‹‹ ربما..

‹ *هذا ما أردت الوصول إليه. سيقال بأنكم تشعرون بالخوف. لذلك، أقول بأن هذه مبالغة سخيفة.*

‹‹ لن يقولوا ذلك. سيقول القادة الإسرائيليون بأنهم غير مستعدين للمجازفة. فإسرائيل لم تُقبل بصدق، ولم تُذوّت في الشرق الأوسط.

‹ *لماذا تعود إلى هذا الموضوع الآن ؟*

‹‹ ولماذا عدت خمسين عاما إلى الوراء ؟

‹ *لا تستطيع التحرك على جبهتين. مرة تتكلم عن العقل، وفي لحظة أخرى تعود إلى العاطفة.*

‹‹ إذا أردت حلا للمشكلة يجب أن تضع في الإعتبار نفسيتنا أيضاً.

‹ *وماذا عن نفسيتنا ؟*

‹‹ نعم. قلتها قبلك. هذه هي المشكلة. ربما مأساتنا ومأساتكم. فنحن بفعل سنوات طويلة من الخوف نميل إلى انتخاب جنرالات وجنرالات سابقين، ليكونوا قادة لنا، والسبب مشكلة البقاء. لا توجد لدينا مساحة واسعة للمناورة خارج أنفسنا. وفي قاموسنا العاطفي أبرز المفردات هي الخوف

والشك .

‹ *إلى متى وما الثمن المطلوب منّا ؟*

‹‹ كانت لدينا فرصة في عام ١٩٩٣. وقد عبّرت عنها اتفاقية أوسلو بطريقة حقيقية. لكنها اتفاقية سيئة لأن الطرف القوي فيها يملي على الطرف الضعيف، وهذا لا يخلق شراكة، كما أننا لا نظهر قدراً كبيراً من الاحترام للفلسطينيين. حدث شئ جاد في عام ١٩٩٣، ثم جاءت سلسلة التفجيرات. أعرف أن الفلسطينيين لا يحبون الكلام عن هذا الموضوع. ولكن دعني أتكلم بصراحة لقد عاد الناس إلى المربع رقم واحد. وأنا أعرف تلك المخاوف.

‹ *مرة أخرى، كانت تلك التفجيرات ضد عملية السلام. قامت بها أقلية ولم تعكس اتجاه الشارع الفلسطيني. لم تعبّر عن سياسة شعبية أو رسمية. عندما ذهبَ غولدشتاين إلى الجامع في الخليل وأطلق النار على المصلين، لم يقل أحد بأن ما قام به يعكس الرأي العام الإسرائيلي، بل عومل كحدث إرهابي معزول.*

عليك التفكير في هذا الأمر لأنني لا أريد التحوّل إلى رهينة للرأي العام الإسرائيلي المسكون بالمخاوف والإنفعالات العاطفية. أعطني تاريخاً محدداً. قولوا لنا نحتاج إلى عشر سنوات للتغلب على الخوف. أقبل ذلك. أما إذا استخدم الخوف ضدي، ومن أجل اضطهادي ومصادرة حقوقي إلى الأبد، فلا أستطيع استيعاب هذا الأمر. في أوروبا الكثير من المشاكل، ولا أحد يستخدم ذريعة العواطف. هذه ليست سياسة، إذا أردت التكلم في السياسة يمكن رؤية الأمور بطريقة أخرى. العمليات تقوم بها جماعات معزولة. رابين أدرك ذلك فقال بأنهم يريدون قتل السلام..

‹‹ رأيت ؟ كان ثمة قائد إسرائيلي، جنرال سابق، تغلّب على تلك المخاوف. نصف الناس في إسرائيل مع السلام، ربما بقدر من التردد، ربما ليس على شاكلتي، أو حسب الطريقة التي أريدها. سأقول لك شيئا: لا تريد أن تكون رهينة لمخاوفي، وأنا لا أريد أن أكون رهينة لمخاوفك.

‹ *أسألك الآن ما هي الضمانات التي تريدها ؟*

‹‹ شخصياً..

‹ لا .

‹‹ لست صانع سياسة، لا أتفق مع سياسة باراك، ولم أوافق على سياسة نتنياهو. لا أريد أن أكون رهينة لمخاوفي، لكنها تشكل جزءاً من تكويني. نحتاج إلى قوة حقيقية لبلورة شراكة تتسم بالديمومة والواقعية والكرم.

تسأل عن الضمانات ؟

بصراحة: تريد إسرائيل من السلطة محاربة الإرهاب. فهذه قد تكون بداية جيدة بالنسبة لنا.

‹ *أهذا كل ما تريد ؟*

‹‹ لو كان الأمر في يدي لرغبت في رؤية دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة غداً، ولرغبت في إزالة أكبر قدر من المستوطنات من المناطق المحتلة، ومن يريد من المستوطنين البقاء يبقى تحت الحكم الفلسطيني. هذه هي البداية. أريد شيئاً أكثر من ذلك. أريد علاقات طبيعية بيننا وبينكم. أريد

جامعة في نابلس أو تل أبيب تتخصص في دراسة جذور الصراع وتتحرى الرواية الكبرى، روايتنا وروايتكم. أستطيع تصوّر شراكة كاملة. لكنني لا أرى تحقق هذا الشيء اليوم أو العام القادم، ولا أراه في حياتي.

‹ *مشكلة صانعي القرارات ديمغرافية. وهم لا يعرفون كيفية حلها. ثمة ذريعة كلاسيكية: كانوا يقولون نريد إسرائيل أصغر ويهود أكثر أم إسرائيل أكبر ويهود أقل ! وهي مشكلة بدأت في وقت مبكر في زمن الييشوف، وما زالت قائمة حتى الآن.*

الآن، لدينا مليون فلسطيني في الجليل، ومليون في غزة، ومليون ونصف المليون في الضفة الغربية. هناك، إذاً، ثلاثة ملايين ونصف المليون فلسطيني في فلسطين الإنتدابية، مقابل أربعة ملايين ونصف المليون يهودي. هذه هي المشكلة الحقيقية. أقبل كل ما تقول عن مخاوفك، فأنت لا تضع الإستراتيجية، أو تتخذ القرارات، أنت كاتب. ولكن لا علاقة لجوهر المشكلة بالعواطف. يمكن تعبئة العواطف، يمكن استغلالها. لكن ما يقلقهم يتمثل في كيفية ضمان عدم تحوّل الفلسطينيين إلى نصف السكان، ثم إلى أغلبية. ففي وقت لاحق ستجري ترجمة هذا الوضع بتعبيرات سياسية.

وعندما تقول بأن معظم الإسرائيليين يريدون السلام، يعتمد الأمر على تعريفهم للسلام. فالمشكلة ليست المعاناة أو التاريخ بل الواقع الفلسطيني نفسه. هذا البلد، سواء أحببت أم كرهت كان مأهولا بشعب آخر، تحوّل معظمه إلى لاجئين، وهم ما زالوا على قيد الحياة.

‹‹ عندما تتكلم عن الإسرائيليين تعزلهم عن التاريخ، وعندما تتكلم عن الفلسطينيين تتكلم عن مئات السنوات هنا. نحن أيضا كان لدينا سنوات هنا، واستمرارية. ولكن أوافق. منذ بداية الحديث وأنت تسأل عن الماضي..

‹ *أتكلم عن المستقبل..*

‹‹ لو كنت صاحب قرار لقررت الإنفصال فوراً عن المناطق المحتلة. تكلمت عن الديمغرافيا. ولكن ما الذي أبقانا ثلاثين عاما في غزة ؟ هناك ستة آلاف مستوطن، لماذا يبقون هناك ؟

‹ *بدافع الجشع.*

‹‹ ربما نترجم الأرض بتعبيرات الأمن وهذا احتمال شائع في العالم. كلما حصل الناس على أرض أكثر يشعرون بمزيد من الأمان. أشعر منذ بداية الحديث بأننا لم نركز على التغيير الذي حدث هنا، وعلى المستقبل. ربما تفضل الحديث دائما عن اليهود ومخاوفهم.

[أوقفنا التسجيل لبعض الوقت، ومنحنا أنفسنا استراحة قصيرة لتناول القهوة. بدأت الإستراحة بدقائق صمت سرعان ما تبددت بمزيد من الكلام. وقد اتجه الحديث هذه المرة إلى الوضع السياسي بعد وصول بارك إلى الحكم]

بارك يريد السلام ولست على ثقة من أنه يتطلع إلى السلام الذي أريده، ولست على ثقة من إدراكه بأن السلام ـ الذي يعني الأمن ـ في نهاية المطاف ـ يتطلب احترام الشركاء، وإدراك مدى صعوبة تقديم تنازلات من جانبهم، كما يتطلب لغة مختلفة تماماً، والكف عن استخدام لغة العدوان والقوة. هذه مسألة شديدة الصعوبة بالنسبة لنا. قد لا يحدث هذا الأمر خلال بضع سنوات. وعليك فهم هذا الشيء، إذا فكّرت بأنك تتعامل مع شخص يحتاج إلى إعادة تأهيل.

يحتاج الفلسطينيون بدورهم إلى إعادة تأهيل. ستلاحظ الأمراض الموجودة لديكم. ولكنني أتكلم عن مجتمعنا. نحن نشعر بالإعاقة، الإعاقة العقلية. الأسباب كثيرة. تكلمنا عن بعضها. ولكن دعنا نتكلم عن المستقبل. أنتم مقبلون على شراكة لا تحسدون عليها، لأنكم تتعاملون معنا، فنحن على درجة عالية من الخشونة، ولدينا جشع إلى القوة، التي أعتقد بأنها غير ضرورية في الوقت الحاضر. جزء من تشوشنا من صنعكم. أنتم، أيضا، تتحملون مسؤولية معينة عن هذا الوضع. لا يعنيني الآن كيف نشأ، بل أريد التخلص منه لنستطيع العيش هنا أنا وأنت.

لا أعتقد بإمكانية حدوث هذا الأمر اليوم، فهذه عملية تطهير طويلة الأمد، وشرطها تغيرّ الظروف بالنسبة لي ولك. لك بشكل خاص لأنك تعاني من الاحتلال. وأنا أكره ممارسة دور المحتل. خلال سنوات، ربما بعد عشرين عاما علينا استقصاء ما فعله الناس في زمن الإحتلال. عمل شئ مثل لجنة تقصي الحقائق في جنوب أفريقيا. كيف ارتكبنا مظالم كهذه. وأنتم يجب أن تفعلوا الشيء نفسه. ثمة أشياء مشابهة في مجتمعكم الذي أفسده الاحتلال.

‹ *قبل فترة رأيت ديفيد ليفي [وزير الخارجية] على شاشة التلفزيون. كان يهدد بإحراق لبنان. عندما يستخدم الساسة لغة كهذه فهي لا تدل على ثقة بالنفس. منذ عام ٧٣ لم تتمكنوا من حسم صراع واحد مع العالم العربي عن طريق القوة. حرب ١٩٨٢ لم تكن حاسمة. الحرب في لبنان مع حزب الله ليست حاسمة، وجنودكم يصرخون في لبنان. حرب الإنتفاضة لم تكن حاسمة. هذا دليل على مدى ما تتسم به القوة من محدودية. وهذا يدفع البعض إلى اليأس أو الجنون.*

‹‹ شعرت بالخجل عندما رأيت ليفي يتكلم.

‹ *هل يساعد استخدام لغة كهذه على خلق انطباع بقوة الردع في العالم العربي، لا أعتقد ذلك. لقد مُنح الإسرائيليون فرصة للسلام، لكنهم أظهروا قدرا كبيرا من العنف.*

‹‹ هذا غباء. الناس يشعرون بالإحراج. المجتمع الإسرائيلي تغيّر. فعندما كتبت «الزمن الأصفر» هاجمني اليمين واليسار، ووجهت لي انتقادات في الكنيست. واتهموني بالخيانة. لكن الناس في الوقت الحاضر يقبلون فكرة الدولة الفلسطينية. ورغم ذلك ما حدث من تقدم لا يكفي. وإذا انتظرنا خمسة عشر عاما، قد نرى المزيد من التقدم.

‹ *لا أستطيع الانتظار هذا الوقت كله.*

‹‹ لأنك تشعر باليأس..

‹ *لو كنت في وضعي ماذا كنت تفكر.. لو كنت مفاوضا للإسرائيليين لأوقفت المفاوضات على الفور. لا تنازلات. يمكنهم استخدام القنبلة النووية ضدي، أو إدامة الاحتلال إلى الأبد، ولكن لا تنازل. فعندما أتكلم عن السلام، ذلك لا يعني بالضرورة الطريقة التي يتكلم بها باراك. أنا لا أقبل هذا السلام. سلام مهين وغير عادل. وكي يكون السلام سلاما يجب أن يكون عادلاً.*

‹‹ أوافق على شيئين ذكرتهما: السلام غير عادل، ولا يستطيع الفلسطينيون تقديم المزيد من التنازلات. ومن حسن الحظ بأنك لا تتخذ القرارات. أما أنا فلو كنت صاحب قرار هنا لفعلت أي شئ للحيلولة دون وصول الفلسطينيين إلى حالة اليأس.

إذا شعر الفلسطينيون باليأس ستنهار العملية كلها. قد يصبح الإسرائيليون أكثر تسامحا في ما يقدمونه. هذا أملي الوحيد. إذا حدث ذلك ستتغير الأمور على الفور وبسرعة، ربما خلال خمس أو عشر سنين. كل الأوراق في أيدينا، ونستصعب تقديم تنازلات وفتح قلوبنا. يصعب هذا الأمر علينا. فقلوبنا مصفحة أمام اللغة الجديدة، وتعلم لغة جديدة أمر في غاية الصعوبة.

‹ *سأتكلم الآن عن بعض الإحتمالات في صيغة المجاز. كان الييشوف اليهودي في فلسطين يعتمد مجاز العبري: العمل العبري، والشباب العبري، والثقافة العبرية، وهي دلالات تختلف عن دلالة اليهودي واليهودية. بعدها انتقل الإسرائيلي إلى مجاز المسادا [قلعة تحصن فيها يهود قرروا الإنتحار بدلا من الاستسلام للرومان، اعتبرتهم الصهيونية أبطالاً قوميين، واتضح في الأبحاث الحديثة بأنهم كانوا مجرد قطّاع طرق ارتكبوا مجازر حتى بحق بعض التجمعات اليهودية] لم يعد أحد يستخدم هذا المجاز في الوقت الحالي، بل تم اللجوء إلى مجاز أقل علمانية وأكثر يهودية، إلى جانب إحساس غيتوي بالعالم. سيبقى اليهود بشكل دائم أقلية ثقافية في الشرق الأوسط. فهل تؤقلم الأقلية وضعها مع المحيط، أم تحتاج إلى محيط يؤقلم نفسه معها. ثمة ميل متزايد إلى المزيد من عقلية الغيتو. غيتو متطور ومحوسب. لم تحدث محاولة حقيقية من جانبكم لجسر الهوّة مع المحيط. وما يحدث في الواقع أن صنّاع القرار يفعلون أشياء ويفعل المثقفون أشياء مغايرة. وهذه نزعة ستستمر.*

‹‹ لست على ثقة من ذلك. يبدو الوضع كدائرة مغلقة. وطالما لم يظهر حل سياسي، سينشأ احساس بالإحباط لدى الفلسطينيين والإسرائيليين. والمزيد من الاتجاه نحو الدين. سيتحول الصراع إلى صراع ديني.

‹ *ألا تعتقد بأن الأصولية تكتسب المزيد من النفوذ في إسرائيل ؟*

‹‹ تكسب المزيد، وهي في وضع ينذر بالخطر. ولكن على المدى الطويل يمكن خلق تعددية في هذا المجتمع. العمل على قبول الآخر، اليهودي الروسي أو الأثيوبي سيشكّل أدمغتنا ويدفعنا إلى قبول آخر الآخر، أي الآخر الخارجي. واعتقد بأن سبب كراهيتنا للآخر اليهودي ـ كراهية اليهودي الشرقي للغربي، والمتدين للعلماني ـ ينبع من عمق كراهية الآخر الفلسطيني في أعماقنا. ولهذا السبب بفعل الشك والكراهية، نكره الآخر، حتى لو كان يهودياً ومن البيت. لا أخاف من الأصولية، وأريد ظهور المزيد من التعددية هنا.

وبشأن الأقلية الثقافية الصغيرة أطمح في ظهور نوع من حب الإستطلاع. يجب على الأقلية التأقلم مع الأغلبية، وعليها احترامها، شريطة ألا تكون مندمجة فيها..

‹ *الأقلية لا تندمج. لذلك تبقى أقلية..*

‹‹ أريد القول: يجب علينا الحفاظ على استقلاليتنا. العالم العربي كبير جداً. أرغب في رؤية المزيد من التبادل، من حب الإستطلاع. فذلك من شأنه إغناء ثقافتنا. ونحن، أيضاً، يمكننا تعزيز جوانب في الثقافة العربية. وهذا أمر بعيد المنال الآن.

‹ *لماذا لا نفكر في دولة ثنائية القومية. أفضل الأدمغة اليهودية في هذا القرن كانت مع الفكرة:*

مارتن بوبر، ويهودا وغنس، وحنا أرندت..

‹‹ هذه فكرة غير مقبولة في الوقت الحاضر. إذا كنا لا نستطيع العيش في دولتين منفصلتين، فكيف نعيش في دولة واحدة. أريد دولة يهودية، دولة من الدول الكثيرة في العالم العربي يمكنها أن تكون يهودية. وبقدر ما نسرّع عملية الإندماج في الشرق الأوسط، بقدر ما يكون الأمر في صالحنا.

› *كلما تكلمنا عن التذويت، أنت تتكلم عن عوامل سيكولوجية وعاطفية، وأنا أحاول تفكيكها. التذويت مسألة غير مهمة. ولا تتوقعوا أن تنالوا شهادة شخصية من كل فلسطيني يوّقع فيها بأنه يقبل إسرائيل. لا يعنيني الحصول على اعتراف كهذا من الإسرائيليين كأفراد. وهذا هو الفرق الوجودي بيننا وبينكم. لا مشكلة لديّ سأبقى هنا إلى الأبد.*

‹‹ وأنا، آمل ذلك..

› *إذا تصرفت بلياقة، نعم. وإذا لم تفعل أنا الأغلبية المسلمة.*

‹‹ فجأة تتبنى رواية الأغلبية المسلمة [يتسم الرد في هذا السياق بقدر كبير من الحدة]

› *هذه ليست النقطة الأساسية. النقطة الأساسية هي عدم معاناتي لمشكلة وجودية. أنا غير معزول. ولا يحق لك أن تنكر عليّ امتلاك عقلية مختلفة عنك. ونحن لسنا أقلية لغوية.*

‹‹ من قال ذلك ؟

› *كإسرائيلي أنت أقلية لغوية. أنا لست أقلية دينية أو لغوية أو عرقية. هذا هو الفرق. وهذا فرق مهم. فلنقل لديّ مشاكل وجودية أقل مما لديك.*

‹‹ أنت تعطي أهمية لكونك الأغلبية. ونحن نفكر ـ أنا وأنت ـ في حل المشكلة. حتى لو كنت تنتمي إلى أقلية من ثلاثة أشخاص أو مائة شخص، سأكافح من أجل حقك في تعريف ذاتك وكرامتك كإنسان. ومع ذلك، تدخل فجأة هذه الحسابات في الموضوع.

› *على الفلسطينيين ألا يكونوا أنفسهم، هذا ما يريده لهم صنّاع القرارات في إسرائيل. يريدون فصل الفلسطيني عن تاريخ الصراع العربي والفلسطيني ـ الإسرائيلي.*

‹‹ لماذا تقول هذا الشيء. تتهّم الجنرالات الإسرائيليين، أوافق. ولكنك تبدأ بالتفكير كجنرال. هل تشعر بأنك أفضل مني [لأنك أغلبية] [احتدم سجالنا عند هذه النقطة، من منّا أفضل من الآخر، وبأنني لا أريد التوصل إلى نهاية للصراع]

› *أريد نهاية للصراع. ولكنني لا أستطيع الانتظار حتى يشعر الإسرائيليون بأن جميع الفلسطينيين قد ذوّتوهم، كي يخرجوا من الضفة الغربية، مثلاً.*

‹‹ لن نحل هذا الأمر قريباً. ولكن علينا خلق ظرف سياسي معقول يستند إلى مصالح وليس إلى عواطف. عندما يبدأ سنحظى بالأمن، وتنالو ما تريدونه لمجتمعكم. كل ما أريده في الوقت الراهن نهاية المهانة التي يعاني منها الفلسطينيون. ولا أريد ممارسة دور المحتل. ولدت بعد نشوب هذا الصراع، ولا أستطيع حل المشاكل الكبرى. ابني سيذهب إلى الجيش بعد خمسة أشهر، ولا أستطيع انتزاع الفلسطينيين والإسرائيليين من نفسياتهم. فلنحاول تقريب الشعبين من بعضهما البعض من أجل مزيد من الفهم.

‹ *لا أرى نتيجة للمحاولة منذ خمس سنوات..*

‹‹ أكثر من نصف الإسرائيليين مع دولة فلسطينية، ولكن لو نجمت عن الوضع الراهن اتفاقية لن تكون جيدة لكم.

‹ *ولماذا أقبلها* ؟

‹‹ ستكون بداية نحو شئ أفضل. أعتقد بأن الحل النهائي سيكون أفضل. وإن لم يحدث يكون قادتنا قد تصرفوا بغباء. من جانبي سأفعل كل شئ لأقول لهم هذا غباء.

‹ *إن لم تكن عادلة فلن أقبل بها حتى ولو على سبيل غواية الإسرائيليين من أجل مستقبل أفضل.*

‹‹ لو كان الأمر مجرد غواية لنصحتك بعدم قبولها.

[أصبح واضحا لكينا بأننا قد استنفذنا كل طاقة ممكنة للاستمرار. وهنا طرحت سؤالي الأخير]

‹ *هل تعتقد بأنني سأكون منصفاً* ؟

‹‹ عندما يكتب كاتب عن كاتب آخر يضيف انطباعاته الشخصية. الإنطباع فوق الواقع أحياناً. أشعر بأنني انجرفت إلى هذا الحديث بلا استعداد. فكرت بأننا سنتقابل كأصدقاء. أريدك أن تكون منصفاً عندما تذكر ما جاء على لساني. وأريد أن يعرف الناس [يقصد الفلسطينيين] بأنني لست صوتاً فريداً ولا أعاني من العزلة في إسرائيل.

[من جانبي لا أستطيع التشكيك في نوايا غروسمان وعمق رغبته الصادقة في التوصل إلى حل مع الفلسطينيين. وهي رغبة تتقاطع مع تيار عريض في اليسار الصهيوني وأوساط ليبرالية اشكنازية في المقام الأوّل.

يرى هذا التيار بأن استمرار الإحتلال يهدد الطبيعة الديمقراطية للدولة الإسرائيلية. وقد تكلموا أيضاً عن قابلية الأصولية اليهودية للصعود في ظل استمرار الإحتلال. وبعضهم لا يرى غضاضة في منح الفلسطينيين أكثر مما يعرضه عليهم الرسميون الإسرائيليون. وذلك لا يمثل اعترافا ـ إلا لدى أقلية ضئيلة ـ بمدى ما لحق بالفلسطينيين من ظلم، ومدى المسؤولية التي تتحملها إسرائيل، بل يمثل محاولة لإنقاذ إسرائيل من نفسها حسب التعبير الشائع.

الدلالة الثانية أن تعبير الضمانات الأمنية يتكوّن من طبقات مختلفة، قد تبرز على سطحها تعبيرات من نوع الحدود، أو المياه، والتسلح.. الخ لكن تعدد الطبقات قد يحوّل الإنتماء القومي للفلسطينيين إلى نوع من الخطر الأمني. وبهذا المعنى ينطوي تعبير الضمانة الأمنية على محاولة، أو أمنية دفينة لهندسة الهوّية الفلسطينية نفسها بطريقة تستجيب للمصالح الأمنية الإسرائيلية على الصعيد العاطفي والنفسي.

يشكو غروسمان من عدم تذويت الفلسطينيين والعرب عموما لإسرائيل. والمشكلة أن الإسرائيليين فشلوا في تذويت حقيقة أن الاعتراف للفلسطينيين بحق إنشاء دولة تخصهم يمثل اعترافا بحقوق قومية في المقام الأوّل، ففي فكرة الحق القومي ما يحوّل الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي إلى انتهاك تاريخي وقديم من جانبهم لهذا الحق. وبقدر ما يطمح الإسرائيليون في هندسة لهوية الفلسطينيين تنزع منها الفتيل العاطفي بذرائع أمنية، يحق للفلسطينيين التفكير في هندسة لهوية إسرائيلية لا تعاني من كل هذا القدر من الإعاقة، وربما كان منطق الأغلبية نفسه هو الذريعة هذه المرة].